المحاضرة الثالثة

من خلال مختلف الشروحات السابقة يمكننا تحديد مفهوم الأدب الشعبي كما اختصره الدكتور حسين النصّار في مؤلفه الشهير الشعر الشعبي العربي:<< بأنه الأدب مجهول المؤلف، عاميّ اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل، بالرواية الشفاهية>>[14]، الأدب الشعبي هو الأدب مجهول المؤلف عامي اللغة المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية، ويشمل هذا التعريف أربعة شروط هي جهلنا لمؤلفه، عامية لغته، مرور عدة أجيال عليه ووصوله إلينا بالرواية الشفوية.

كما وضع الباحث ابراهيم عبد الحافظ في كتابه دراسات في الأدب الشعبي[15] خصائص تمثلت في؛ مجهولية المؤلف، التناقل الشفهي، الانتشار والتداول، والمحتوى الثقافي المعبر عن وجدان الجماعة، اللغة العامية، والدافع الروحي الجماعي.

خصائص الأدب الشعبي:

- **أدب مجهول المؤلف:**

لا شكّ أنّ كل نتاج أدبي ينسب إلى فرد دون غيره، ويحفظ هذا الفرد عبر الزمن كونه صاحب الإبداع، غير أن الأدب الشعبي له عدة مصادر، وقد يشترك أشخاص كثيرون في إنتاج مثل ما أو حكمة ما دون نسبها إلى شخص واحد، وفي هذا يقدّم لنا الدكتور طلال حرب تفسيرا أكثر حول جهل المؤلف " ولا يعني جهل المؤلف أن هناك مؤلفا معيّنا سقط اسمه مع الزمن، أو لم يحفظه لنا المؤرخون، بل يعني أن من الصعب، إن لم يكن من الخطأ، إرجاع الأثر الشعبي إلى مؤلف واحد، إذ إن أشخاصًا كثيرين يشتركون في تأليف الأثر الشعبي وبلورته، بل يسهم في هذا التأليف

جمهور كامل أحيانا، بتأثيره في الرواية، بحيث يضطر هذا الأخير إلى أن يتلاءم مع رغبة مستمعيه وآمالهم، فيغير في جزئيات الحكاية بما يسرُ جمهوره ويرضيه"[16]

كما تقدم لنا الدكتورة نبيلة إبراهيم تفسيرا منطقيا حول ذلك، وكيف أن المؤلف لا يحفظ اسمه ولا ينسب إليه إبداعه قائلة: << فلا يعرف له مؤلف، لأنّه حصيلة نشاط الجماعة...وهذا الأديب ينسى اسمه لأنّه يخرج من الشعب معبرا بأدبه، وهو يحاول أن يقرّب ما يؤلفه للشعب>>[17]، ومن هنا تتضح الفكرة الأكثر حول تماهي واندماج المبدع مع قضايا أمته فتصبح الحكمة حكمة مرتبطة بمجتمع لا أفراد وينسب العمل الإبداعي للجماعة لا للأفراد.

- **اللغة العامية**

إن اللغة التي يوظفها المبدع في قضايا الأدب الشعبي ليست بالضرورة هي لغة عاميّة بالدرجة الأولى، بل هي لغة فصحى مبسّطة تكاد تقترب في شكلها الخارجي من العاميّة، وتخدم هذه اللغة معظم الفئات الاجتماعية التي قد لا تكون تلّقت فرصة تعلّم الكتابة والقراءة، فأصبحت بذلك هذه اللغة المتوارثة لسانها الذي يعبّر عن مختلف قضاياها.

- **التوارث جيلا بعد جيل**

تعتبر عملية التوريث الثقافي أهم وسيلة لحفظ وأرشفة التراث الثقافي من أقوال مأثورة وعادات وتقاليد وحكم وقصص، فالتداول المستمر والمتواتر بين الأجيال هو الذي يسهم في سيرورة الحكم وغيرها "وليس هذا التناقل سلبيا ينحصر في حفظ الحكاية من الضياع، ونقلها من جيل إلى آخر بأمان وصدق...بل هو تناقل فاعل وأساسي في تكوين بنية الأدب الشعبي[18].

- **الرواية الشفهية**

لقد تم حفظ معظم نصوص الأدب الشعبي عبر التواتر الشفهي، حيث تمّ تداوله عبر الأجيال مختلفة عن طريق الكلام المباشر، وقد تكون هذه الوسيلة أسهمت في تطور مختلف الحكم والحكايات وغيرها جيلا بعد جيل، حسب متطلبات ومقاصد كل جيل، فالرواية الشفهية تتيح خاصية التعديل والتغيير والإضافة بما يناسب وسياق القول.

إن الأدب الشعبي متعلق ومرتبط مباشرة بقضايا الشعب، وقد يسهم الواقع في دفع الفرد إلى التعبير عن فرحه أو يأسه، مما يقدّم لنا نتاجا أدبيا يحكي حاله، وطموحه أو مشاغل أمته وقضاياها، وقد تدفع الظروف المزرية بالفرد فيطلق لخياله عنان التعبير، فيسرد قصصا من خياله إذن فالواقع المعاش والخيال هما عنصران أساسيان يسهمان في دفع المؤلف إلى الإنتاج الأدبي وعليه فإن الأدب الشّعبي هو لسان حال الشعب فردا أو جماعات، المرتبط بالتقاليد والعادات والمتناقل شفهيا عبر عدة أجيال والقابل للتغيير والتعديل والإضافة.

ويتميّز الأدب الشعبي عن الفصيح بخصائص أكثر فسحة أي أنّه لا يقيّد المبدع بضوابط أو أوزان محدّدة، حيث يجد المبدع في مختلف أجناس الأدب الشعبي مساحة كافية تسمح له بالتأليف والإنتاج ومن أهم الأدوات التي يشتغل عليها المؤلف هي اللغة.

اللغة:

إنّ اللغة المستعملة في جميع أصناف الأدب الشعبي لغة مرنة من قلب المجتمع، لا تكلّف فيها ولا اصطناع وصفها الدكتور "محمود ذهني" بأنها فصحى مسهلة، أو ميسرة، حتى تكاد تقارب العامية في الشكل الظاهري، وأن هذه الألفاظ قد تكون عامية، مشبعة بروح الريف، متداولة بشكل يومي.

الموضوع:

تعتبر مختلف مواضيع الأدب الشعبي الناطق بحال الشعب، انطلاقا من قصة تمسّ الفرد إلى قصة شعبية متداولة يرى فيها الخاص والعام قصته وقضيته الخاصة، ومن هنا انتشرت مختلف أصناف الأدب الشعبي.

الشكل:

ترتبط مختلف أشكال التعبير في الأدب الشعبي ببعضها البعض، ارتباطا فنّيا وشكليا، فالأغنية الشعبية هي في الأصل قصيدة شعرية، وقد تحوّل قصة ما إلى مثل سائر أو حكمة ما.

العفوية والتلقائية:

يتّسم الأدب الشعبي بالعفوية والتلقائية في سرد مختلف هموم وحكايات وآمال الشعوب، وقد قام الباحث أحمد رشدي صالح بمقارنته بالأدب الفصيح من هذه الزاوية فالأدب الشعبي يساير الفطرة أكثر من الأدب الرسمي، وتتجلى هذه الفطرة في حَبْك الأدب، وطريقة إبداعه المتغيرة، من بيئة لأخرى، ومن زمن لآخر، كما تتجلى الفطرة والتلقائية في لا منطقية السرد، والربط بين الأحداث، بعكس الأدب الرسمي، الذي يعتمد على الربط والمنطقية، ومنه فالأدب الشعبي هو المرآة العاكسة للوجه الحقيقي لمختلف القضايا التي تواجه الشعوب.